

إيبارشية لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية

المحاضرتان الخامسة والسادسة

الشمامسة والخُدام بكنيسة القديس موريس في بومونا Pomona

صباح السبت ٢٠١٤/٣/١٥ م

تاريخ الصَّوم الكبير والسَّمت الأساسيّة لطقوس صلواته

- ٢ • مقدّمة تاريخيّة عن الصَّوم الأربعيني المقدّس
- ٤ • البابا أثناسيوس هو الذي أدخل الصَّوم الأربعيني عند الأقباط وهو الذي ضمه إلى أسبوع البصخة المقدّسة
- ٥ • قُدّاسات السُّبوت والآحاد في الصَّوم الكبير
- ٥ • مراحل إقامة القُدّاسات في أيام الصَّوم الكبير
- ٦ • حول نغمة الصَّوم المقدّس الكبير في الأيام
- ٧ • حول بعض العناصر الليتورجيّة للصوم المقدّس الكبير
- ٧ • إِبصاليّة تُقال في رفع بخور عشية الصَّوم المقدّس الكبير
- ٨ • الطُّروحات الواطس والآدام
- ٨ • مرد كيرياليسون
- ٨ • دُكصولوجيات الصَّوم المقدّس الكبير
- ٨ • قوانين ختام الصَّلوات في صلوات رفع البُخور
- ٩ • مرد دورة الحَمَل في الصَّوم المقدّس الكبير
- ٩ • لحن العذراء بعد تحليل الخُدّام
- ٩ • مرد الإبركسيس
- ١٠ • مرد الإنجيل
- ١٠ • التَّوزيع
- ١٢ • قانون ختام الصَّلوات في القُدّاس الإلهي

الرَّهب أثناسيوس المقاري

• مقدمة تاريخية عن الصَّوم الأربعيني المقدَّس

في القرون الثلاثة الأولى، كانت فترة الصَّوم استعداداً للفصح لا تتعدى يومان أو ثلاثة أيام. ففي أيام القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) أُسقف مدينة ليون كان البعض يصومون يوماً واحداً، والبعض الآخر يومين أو عدداً أكبر من الأيام، وهناك من كانوا يصومون مدة أربعين ساعة بدون أن يتناولوا أي طعام. وكانت هذه الفترة تُدعى بصوم ما قبل الفصح، وهي فترة تمتد من يوم الجمعة العظيمة حتى أحد الفصح. وهو ما يذكره القديس إيريناؤس نفسه في عبارة له أوردها يوسابيوس القيصري.

فيقول يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م) على لسان القديس إيريناؤس: "... لأنَّ النَّزاع ليس محصوراً في اليوم فقط، بل يتعلَّق أيضاً بطريقة الصَّوم. فالبعض يظنُّون أنهم يجب أن يصوموا يوماً واحداً، وغيرهم يومين، وغيرهم أكثر، والبعض يحسبون يومهم أربعين ساعة نهاراً وليلاً. وهذا الاختلاف في حفظ الصَّوم لم ينشأ في أيامنا، بل في أيام آبائنا قبل ذلك بوقت طويل ..."^(١).

وكان الصَّوم في هذين اليوميْن انقطاعاً كاملاً عن الأكل، إشارة إلى غياب السيِّد المسيح ما بين موته وقيامته، اقتداءً بقوله: «متى رُفِعَ المسيح عنهم فحينئذ يصومون» (متى ١٥:٩).

معلوماتنا عن الصَّوم الأربعيني المقدَّس في هذه الثلاثة قرون الأولى للمسيحية، فهي شحيحة ونادرة. وهي تنحصر تقريباً في إشارة واحدة منسوبة إلى العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) في عظة له على سفر اللاويين (٢:١٠) حيث يقول: [إنَّ أيام الصَّوم التي تُبَّتت، هي الأربعين المقدَّسة والأربعاء والجمعة].

ولكن يرى كثيرٌ من علماء الليتورجيا، أنَّ ما ذكره أوريجانوس عن صوم الأربعين المقدَّسة تحديداً هي إضافة من روفينوس (٣٤٥-٤١٠م) الذي ترجم كتابات أوريجانوس إلى اللاتينية، إذ أنَّ كثيراً من النُّصوص اليونانية لأوريجانوس مفقودة حتى اليوم^(٢).

وأول إشارة غير مؤكَّدة ترد إلينا عن الصَّوم الأربعيني في القرن الرابع الميلادي، هي ما ورد عنه في القانون الخامس لمجمع نيقية المسكوني الأول سنة ٣٢٥م، والذي يذكر أنه يجب على أساقفة كل إقليم أن يجتمعوا معاً مرتين في السنة؛ حيث "يعقد المجمع الأول قبل الأربعين Τεσσαρακοστή ويُعقد الثاني في فصل الخريف". ولأنَّ الكلمة اليونانية (تيساراكوستي) تعني "الأربعين"، ولكنها لا تعني تحديداً "الصَّوم الأربعيني"^(٣)، فقد رأى كثيرٌ من العلماء أنَّ المقصود بها هي الأربعين يوماً التي تعقب عيد القيامة، وتنتهي بعيد الصُّعود. أي أنَّ المجمع المذكور يجب أن يُعقد في خلال هذه الفترة وقبل نهايتها^(٤). ولقد اعتاد الأساقفة في الشَّرق عقد اجتماعهم بعد عيد الفصح^(٥).

أمَّا أوَّل ذكر واضح للصَّوم الأربعيني المقدَّس في كنيسة الإسكندرية، فكان في زمن البابا أثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، وبالتحديد في سنة ٣٣٤م. حيث كان الصَّوم الكبير يمتد إلى ٣٥ يوماً، حيث يُكسر الصَّوم في الساعة التاسعة من النَّهار (الثالثة بعد الظُّهر)^(٦)، ويعقبه ستة أيام صوم الفصح، والتي تبدأ يوم الاثنين، وتنتهي يوم سبت النَّور، فيكون مجموع أيام

١- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة (٢٤:٥)، ترجمة المُصِّص مرقص داود، القاهرة، الطبعة الثانية، مايو ١٩٧٩م، ص ٢٧٨

2- Cf. Annick Martin, *Athanase d'Alexandrie et l'Eglise d'Egypte au IV^e siècle* (328-373), Rome, 1996, p. 162.

٣- يرى آخرون أنَّ المقصود هو الصَّوم الأربعيني (Cf. *DACL*, t. 2, p. 2141).

4- Annick Martin, *op. cit.*, p. 164.

٥- الأرشيمندريت حنانيا كساب، مجموعة الشُّرع الكنسي، منشورات النَّور، ١٩٧٩م، ص ١٨٨
جدير بالذكر هنا أنَّ القانون رقم (٢٠) من قوانين مجمع أنطاكية المكاني (٣٤١م) قد حدَّد أنَّ الاجتماع الأوَّل يكون بعد الأسبوع الثالث من الفصح، والاجتماع الثاني يكون في منتصف شهر تشرين الأوَّل (أكتوبر).

٦- وهو نفس ما تقول به أوامر الرُّسل، أو المراسيم الرُّسولية، التي تم تدوينها أواخر القرن الرابع الميلادي.

الصَّوم ٤١ يوماً، أي ستَّة أسابيع. واستمر هذا الوضع قائماً حتى نهاية حبريَّة البابا كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) على الأقل^(٧). وهو النِّظام الذي تبنته مصر وفلسطين وليبيا^(٨).

وهكذا ظلَّت فترة الأربعين يوماً غير محدَّدة تماماً في كلِّ كنيسة، حتى إلى منتصف القرن الخامس الميلادي على الأقل، كما اختلفت عوائد الصَّوم وتباينت من مكان لآخر، ممَّا أفسح مجالاً لتأويلات عديدة.

في هذه الفترة والتي أعقبت مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م أضيف أسبوعاً سابعاً للصَّوم الكبير في كنيسة الإسكندرية، اقتداءً بالكنايس الشَّرقيَّة الأخرى، وذلك في وقت غير معلوم لدينا بالتحديد حتى الآن، حيث صار الصَّوم في كلِّ الشَّرق سبعة أسابيع. ولكن في كنيسة الإسكندرية ظلَّ التَّمييز واضحاً بين الصَّوم الكبير، وصوم أسبوع الفصح.

في زمن الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤٠م) أضيف أسبوعٌ ثامنٌ على الصَّوم الكبير، حيث عُرف الأسبوع الأوَّل من الصَّوم "الأربعيني" بأسبوع هرقل^(٩)، وذلك في كلِّ الشَّرق. ولكن بعد زمن هرقل، ألغت الكنائس الشَّرقيَّة هذا الأسبوع الثامن من الصَّوم، بينما ظلَّ قائماً في كنيسة الإسكندرية. حيث يذكر سعيد بن بطريق (٨٧٧-٩٤٠م)^(١٠) البطريرك الملكاني في كتابه "نظم الجوهر" عن جُمعة هرقل ما يلي: "وأهل مصر القبط إلى الآن يصومونها، إلَّا الشَّام والرُّوم الملكية، فإنهم بعد موت هرقل، رجعوا يأكلون في هذه الجُمعة بيضاً وجنناً وسمكاً"^(١١). وهو ما يذكره أيضاً الأنبا ساويرس بن المقفَّع (حوالي ٩١٥-١٠٠٠م) في المقالة الثامنة من كتابه "الدُّر الثمين في إيضاح الدِّين" حيث يدعو "أسبوع كفارة هرقل". كما يذكر الأسقف إيسيدوروس^(١٢) في كتابه "الخريدة النَّفيسة" ما يلي عن هذا الأسبوع: "... وقد أبطلت كلُّ الكنائس صوم هذا الأسبوع ما عدا الأقباط الأرثوذكس"^(١٣).

ويتحدَّث مجمع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م - وهو ذو أهميَّة تاريخيَّة قصوى - عن سبعة أسابيع صوم^(١٤)، بصورة نشعر بموجبها أن سبعة أسابيع صوم قد تعمَّم استعمالها في الشَّرق، وذلك بعد أن ضمَّ أسبوع الفصح إلى الأربعين المقدَّسة. ففي القرن السَّابع الميلادي تقريباً استقر الصَّوم الكبير في كلِّ مكان تقريباً بصورته الرَّاهنة الآن.

وفي القرون الأولى للمسيحيَّة، كانت مراعاة الصَّوم الأربعيني دقيقة جدًّا، فكان يُكفني بوجبة واحدة في اليوم تؤخذ في السَّاعة الثالثة بعد الظُّهر، أو في المساء، وكان تناول البيض والجبن والسَّمك وما يخرج منه دم، ممنوعاً تماماً في معظم الأماكن. أمَّا صوم أسبوع البصخة فهو أشد صرامة وتقشفاً. وهكذا ظلَّت المحافظة على الصَّوم موطَّدة جدًّا في الشَّرق. وأمَّا في الغرب المسيحي، وبدءاً من القرن التَّاسع الميلادي، فقد بدأت قوانين الصَّوم تحف تدريجيًّا، ومع حلول القرن الخامس عشر، صار مسموحاً بالأكل عند الظُّهر^(١٥).

ثمَّ ظهر في الكنيسة الشَّرقيَّة ما صار يُعرف باسم "جُمعة ختام الصَّوم" والتي تسبق مباشرة سبت لعازر، وهي الجُمعة

٧- كلُّ الرِّسائل الفصحية بدءاً من البابا أناسيوس الرِّسولي وحتى البابا كيرلس الكبير تفصل بين الـ ٣٥ يوماً الأولى للصَّوم، والسَّنة أيام التَّالية التي لأسبوع الفصح.

Cf. *NPNF.*, Series 2, vol. 4, p. 509 ff.

8. A. Baumstark, *op. cit.*, p. 196.

٩- بينما يعترض الأنبا ميخائيل مطران دمياط في القرن الثَّاني عشر على أننا لا نصوم في الأسبوع الأوَّل من الصَّوم تكفيراً عن الإمبراطور هرقل. فقد ورد ذكر هذا الأسبوع باسمه "أسبوع هرقل" في المجموع الصَّفوي لابن العسَّال، في القرن الثالث عشر، وعند ابن كبر، في القرن الرابع عشر، وعن هذا الأخير في قطمارس الصَّوم الكبير المطبوع سنة ١٩٥٣م، في عهد البابا يوساب الثاني.

١٠- هو من أبرز البطارقة الملكانيِّين في مصر، وكان طبيباً ومجادلاً ومؤرِّخاً.

١١- جدير بالذكر هنا أن ما أورده قطمارس الصَّوم المقدَّس الكبير عن الصَّوم الكبير يستند في أصوله الأولى إلى ما كتبه سعيد بن بطريق.

١٢- وُلد في صدد بأعمال حمص بسوريا، وهاجر مع خاله القمُّص إشعيا السُّرياني إلى مصر. وصار القمُّص إشعيا وكيلاً لبطريركية الإسكندرية في عهد ثورة عربي سنة ١٨٨٠م. والتحق بدير البراموس في ١٢ يناير سنة ١٨٨٥م، ورُسم أسقفًا على الدَّير في ١٧ أكتوبر سنة ١٨٩٧م، وتبيَّح في ١٩ يناير سنة ١٩٤٢م.

القس أغسطينوس البراموسي، دير البراموس بين الماضي والحاضر، القاهرة، يناير ١٩٩٣م، ص ١٩٠-١٩٣

١٣- الأنبا إيسيدوروس، الخريدة النَّفيسة، الجزء الثَّاني، جيل ٧ رأس ٣

١٤- لاحظ هنا أمَّا سبعة أسابيع صوم، ممَّا يعزز توقف صوم الأسبوع الثَّامن في الكنيسة اليونانية بمجرد موت الإمبراطور هرقل.

التي ينتهي فيها الصّوم الأربعيني. وصارت خاصيّة هذا اليّوم خاصيّة احتفاليّة، ليبدأ بعدها الصّوم الفصحى، أو صوم أسبوع البصخة، أو صوم الأسبوع المقدّس العظيم، حيث يكون سبت لعازر وعيد الشعانين، فاصلاً بين الصّومين. ولقد تبنت كنيسة القسطنطينيّة هذا النّظام الجديد، بالإضافة إلى البلاد المحيطة بها. وظلّ هذا النّظام معمولاً به في كنيسة القسطنطينيّة وأنطاكية، والذي تبنته بعد ذلك كنيسة أورشليم، كما نعلم من المصادر الأرمينيّة والجورجية والسّريانيّة الملكانيّة Syro-Melkite. فكنيسة أنطاكية الوطنيّة دعت هذا اليّوم باسم ”جمعة الأربعين المقدّسة“، وهي يوم الجمعة من الأسبوع السّادس، أي أسبوع الأعمى بن طيما. وإنّ طقس الكنيسة اليونانيّة يشير إلى نفس هذه الحقيقة، وذلك في صلاة الغروب لهذا اليّوم عينه، حيث يرد فيها الطلبة الآتية: ”إذ قد أكملنا صوم الأربعين يوماً النّافع لنفوسنا، نطلب إليك أن ننظر الأسبوع المقدّس الذي لآلامك“.

• البابا أثناسيوس هو الذي أدخل الصّوم الأربعيني عند الأقباط وهو الذي ضمه إلى أسبوع البصخة المقدّسة

يذكر ابن كبر (1324م+) في الباب الثامن عشر من موسوعته ”مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة“ أنّ الصّوم الأربعيني كان يُصام بعد عيد الغطاس مباشرة، ثمّ يعملون جمعة الآلام بعد ذلك بأيام. وأنّ البابا ديمتريوس الكرام (189-231م) هو الذي ضمّ الصّوم الأربعيني إلى أسبوع البصخة.

ولقد انتقل ما ذكره ابن كبر إلى كتاب السنكسار في الكنيسة تحت اليّوم الثاني عشر من شهر بابه، وهو يوم نياحة البابا ديمتريوس الكرام. كما يكرر السنكسار هذا الأمر عنه تحت اليّوم العاشر من شهر هاتور، وهو تذكّر انعقاد مجمع برومية في أيام فيكتور بابا روميه. كما انتقل إلى كتب الكنيسة الأخرى ومن بينها قطمارس الصّوم المقدّس الكبير، في طباعته المتتالية.

وليس لدينا حتى اليّوم أي دليل موثّق يؤكّد ما سبق ذكره لابن كبر، والمنتشر في الكنيسة القبطيّة حتى اليّوم. وأبسط دليل على ذلك - لكي لا ندخل في أبحاث ليس مجالها الآن - هو أنّ البابا ديونيسيوس الكبير (248-265م) وحتى يوم نياحته، أي بعد مرور أكثر من ثلاثين سنة على نياحة البابا ديمتريوس لم يكن يعرف سوى صوم سبعة أيام الفصح⁽¹⁶⁾. ومن جهة أخرى، ليست هناك وثيقة تتكلّم عن الصّوم المقدّس الكبير قبل القرن الرابع الميلادي⁽¹⁷⁾.

أمّا الرّسائل الفصحية للبابا أثناسيوس الرّسولي (328-373م) والتي كتبها بدءاً من سنة 329م، فهي أوّل توثيق يصل إلينا عن وجود الصّوم الأربعيني المقدّس في الكنيسة القبطيّة.

والذي يقرأ الرّسائل الفصحية له (45 رسالة) بحسب ما هي منتشرة بيننا حتى الآن، يعرف أنّ الرّسائل الخمسة الأولى، لا تذكر تاريخ بدء الصّوم الأربعيني، باستثناء الرّسالتين (2، 3)؛ وأنّ الرّسائل التّالية ابتداءً من السّادسة، تذكر جميعها الصّوم الأربعيني باستثناء الرّسالتين (14، 24). وهناك عدّة عوامل ليس مجالها الآن، قد حدت بالعلماء إلى تبديل مكان الرّسالة رقم (2) مع مكان الرّسالة رقم (24)، وتبديل مكان الرّسالة رقم (3) مع مكان الرّسالة رقم (14). أي أن ترتيب هذه الرّسائل الفصحية زمنياً يكون كما يلي: 1، 24، 14، 4، 5، 12، 13، 3، 15، 16، 22، 23، 2، 25، 26 ... الخ.

وطبقاً لهذه الدّراسات، تصبح الرّسائل الفصحية الخمسة الأولى خالية من ذكر الصّوم الأربعيني المقدّس. وتصبح جميع الرّسائل اللاحقة لها، ابتداءً من السّادسة، التي كتبت سنة 334م، والتي تذكر تاريخ عيد الفصح، تذكر أيضاً بدء الصّوم الأربعيني. ولقد كان العالم شفارتز Schwartz هو أوّل من لاحظ ذلك سنة 1935م، واقترح هذا التّبديل⁽¹⁸⁾. وتؤكد العلماء من هذا الرأي، مثل العالم ديفوس Devos. وإن أقوى دليل على صحة هذا التعديل هو أنّ البابا الإسكندري تيموثاوس الثّاني (455-477م)، الذي عاش بعد زمن القديس أثناسيوس الرّسولي بأقل من مائة عام، كان قد استشهد بأجزاء من الرّسالة رقم (24)

16. Cf. Annick Martin, *op. cit.*, p. 162.

17. Fernand Cabrol (Le premier dom) & Henri Leclercq (R.P. dom), *Dictionnaire d'archéologie chrétienne et de liturgie (DACL)*, Tome 2, Paris, 1925, p. 2141.

18. E. Schwartz, *Zur Kirchengeschichte des vierten Jahrhunderts*, ZNW 34 (1935) 129-213 ; Id., *Die Osterbriefe, in Gesammelte Schriften III*, Berlin 1959, p. 1-29.

قائلاً إنه يستشهد بالرسالة الفصحية الثانية للقديس أناسيوس، المكتوبة في سنة ٤٦ لديوقليانوس (أي سنة ٤٦ للشهداء، وهي السنة التي تقابل سنة ٣٣٠م)^(١٩). كما استشهد أيضاً بأجزاء من الرسالة رقم (١٤) قائلاً إنه يستشهد بما ورد في الرسالة الفصحية رقم (٣) لأناسيوس.

وعلى ذلك، وطبقاً لآخر دراسات آبايئة دقيقة معروفة حتى الآن، يكون البابا أناسيوس الرسولي هو الذي أدخل الصَّوم الأربعيني المقدس إلى الكنيسة القبطية، ثم ضمَّه إلى أسبوع البصخة المقدسة بدءاً من سنة ٣٣٤م.

• قَدَّاسَاتِ السُّبُوتِ وَالْآحَادِ فِي الصَّوْمِ الْكَبِيرِ

نعرف من قوانين الكنيسة الشَّرْقِيَّة^(٢٠)، ومنذ القرن الرَّابِعِ المِيلادِي أنَّ القَدَّاسَاتِ تُقامُ في سُبُوتِ وَآحَادِ الصَّوْمِ المَقْدَسِ الْكَبِيرِ، وليس في أيامه، لأنَّ مفهوم الصَّوْمِ هو التَّوْبَةُ وَالتَّذَلُّلُ أَمَامَ اللَّهِ، أمَّا إقامَةُ الإِفْخَارِسْتِيَا فِهي نَسْبِحَةُ شُكْرٍ وَتَهْلِيلِ وَفَرَحٍ. ومن ثمَّ فقد اقتصرَت القَدَّاسَاتِ فِي الصَّوْمِ الْكَبِيرِ عَلَى السُّبُوتِ وَالْآحَادِ الَّتِي لَا يُصَامُ فِيهَا صَوْمًا انْقِطَاعِيًّا. وهذا هو تقليد الكنيسة الجامعة منذ القديم، وهو ما تتبعه بعض الكنائس الشَّرْقِيَّةِ حَتَّى الْيَوْمِ مِثْلَ الْكَنِيسَةِ الْيُونَانِيَّةِ.

بل إنَّ الاحتفال بأعياد الشُّهداء وتذكاراتهم بإقامة القَدَّاسَاتِ، تتوقَّفُ فِي أَيَّامِ الصَّوْمِ المَقْدَسِ الْكَبِيرِ، وَيُحتَفَلُ بِهَا فِي سُبُوتِهِ وَآحَادِهِ فَقَطْ. ومن هنا نشأ في الكنيسة مفهوم عدم قراءة السَّنْكَسَارِ فِي أَيَّامِ الصَّوْمِ المَقْدَسِ الْكَبِيرِ حَتَّى بَعْدَ أَنْ أُقِيمَتِ القَدَّاسَاتِ فِيهَا.

ومنذ القرن الثالث عشر المِيلادِي فصاعداً، بدأ التَّركِيزُ يَنْصَبُ عَلَى قَدَّاسِ يَوْمِ الْآحَادِ أَكْثَرَ مِنْ يَوْمِ السَّبْتِ الَّذِي بَدَأَ يَأْخُذُ مَكَانَهُ كِيَوْمٍ عَادِيٍّ مِنْ أَيَّامِ الْأَسْبُوعِ. أي الاحتفال بيوم الأحد كيوم الرَّبِّ، بدون إهمال يوم السَّبْتِ، ولكن بدون التَّركِيزِ عَلَيْهِ كِيَوْمٍ يَسَاوِي فِي الْأَهْمِيَّةِ يَوْمَ الْآحَادِ.

• مَرَاكِلُ إِقَامَةِ القَدَّاسَاتِ فِي أَيَّامِ الصَّوْمِ الْكَبِيرِ

القَدَّاسَاتِ الَّتِي أُقِيمَتِ فِي أَيَّامِ الْأَسْبُوعِ مِنَ الصَّوْمِ المَقْدَسِ الْكَبِيرِ قَدْ دَخَلَتْ تَدْرِيجِيًّا عَلَى أَيَّامِ الصَّوْمِ، وليس دُفْعَةً وَاحِدَةً. ولقد تباينت هذه الأيام بين كنيسة وأخرى.

أمَّا يَوْمِي الْأَرْبَعَاءِ وَالْجُمُعَةِ فَكَانَا هُمَا الْيَوْمَانِ الْأَوْلِيَانِ اللَّذَانِ أُقِيمَ فِيهِمَا القَدَّاسُ الْإِلَهِي فِي الصَّوْمِ المَقْدَسِ الْكَبِيرِ إِلَى جِوَارِ قَدَّاسِي السَّبْتِ وَالْآحَادِ. فمن الشُّواهِدِ الْمُتَابِعَةِ، وَالْمَلاحِظَاتِ الدَّقِيقَةِ عَلَى مَدَى تَارِيخِ الصَّوْمِ الْكَبِيرِ، يَتَّضِحُ لَنَا مِنْهَا أَنَّ اللَّيْتُورْجِيَّاتِ كَانَتْ تُقَامُ فِي أَيَّامِ الْأَرْبَعَاءِ وَالْجُمُعَةِ فَقَطْ مِنَ الصَّوْمِ المَقْدَسِ الْكَبِيرِ، وهما اليومان ذات الاعتبار القديم. ونجد هذا النِّظَامَ عِنْدَهُ كَانَ مَعْمُولًا بِهِ فِي كَنِيسَةِ أُورُشَلِيمَ فِي خِدْمَةِ الْمَسَاءِ الَّتِي كَانَ يُحتَفَلُ بِهَا فِي كَنِيسَةِ صِهْيُونِ فِي مَسَاءِ يَوْمِي الْأَرْبَعَاءِ وَالْجُمُعَةِ.

والذي يدرس بعمق فصول قراءات الصَّوْمِ المَقْدَسِ الْكَبِيرِ فِي الْكَنِيسَةِ الْقُبْطِيَّةِ، يلاحظ أنَّ قراءات يَوْمِي الْأَرْبَعَاءِ وَالْجُمُعَةِ عَلَى مَدَى الصَّوْمِ، تحمل سمةً مميَّزةً، ورائحةً خاصةً، ومنهجاً كتابياً محدداً، يختلف عن باقي قراءات أيام الصَّوْمِ الأخرى.

ونعرف من التَّارِيخِ، أَنَّ إِقَامَةَ خِدْمَةِ القَدَّاسِ الْإِلَهِيِّ فِي أَيَّامِ الْخَمِيسِ مِنَ الصَّوْمِ المَقْدَسِ الْكَبِيرِ، قَدْ أَدْخَلَهَا الْبَابَا غَرِيغُورِيُوسُ الثَّانِي (٧١٥-٧٣١م) إِلَى طَقْسِ كَنِيسَةِ رُومًا. وطبقاً لمخطوطات رومانية قديمة، فإنَّ طقس رومًا لم يكن يعرف إقامة قَدَّاسَاتِ فِي أَيَّامِ الصَّوْمِ المَقْدَسِ الْكَبِيرِ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَقَطْ، هِيَ الْاِثْنَيْنِ وَالْأَرْبَعَاءِ وَالْجُمُعَةِ. ودخول يوم الاثنين هنا، هو

١٩- يمكن قراءة نصِّ استشهد البابا تيموثاوس الثاني بهذه الرسالة، في حاشية من كتاب العالم لوفور Lefort المذكور في (CSCO, 151, p. 9, n. 64). وهذا النصُّ وارد أصلاً في رسالة للبابا تيموثاوس الثاني بعنوان: "ضدَّ القائلين بالطبيعيَّة"، وقد حُفِظَتْ بِالْأَرْمِينِيَّةِ وَقَدْ نَشَرَهَا الْعَالِمَانِ: K. Ter-Mekertschian - E. Ter-Minassiantz, *Timotheus Aelurus' des Patriarchen von Alexandrien, Widerlegung der auf der Synode zu Chalcedon festgesetzten Lehre, Armenischer Text*, Leipzig, 1908.

٢٠- القانون رقم (٤٩) والقانون رقم (٥١) من قوانين مجمع اللاذقية (٣٤١-٣٨١م)

من قبيل التجانس مع يومي الأربعاء والجمعة. أمّا يوم السبت فلم يكن يُقام فيه قُدَّاسات بحسب طقس كنيسة روما^(٢١). ونلاحظ أيضاً أنه في الطَّقس الآشوري (التَّسطوري) ومن مصادره الطَّقسيَّة القديمة، أنه كان ليوم الجمعة بمفرده فصولٌ كتابيَّة تختص به بدءاً من الأسبوع الثاني من الصَّوم وحتى نهايته. وهكذا تعمَّمت القُدَّاسات في أيام الصَّوم الكبير، بعد أن كانت قاصرة على سبوتيه وآحاده فقط.

• حول نغمة الصَّوم المقدَّس الكبير في الأيام

إن النِّغمة التي تصلى بها قُدَّاسات أيام الصَّوم المقدَّس الكبير، تدعوها مخطوطات ترتيب البيعة بدءاً من منتصف القرن الخامس عشر، طريقة أو لحن الحزن، أو لحن التَّحنين!!! وهو تعبير القرون الوُسطى، الذي تناقله الناسخون عن غير دراية. إذ كيف نسبح الرَّب بلحن حزين، وخصوصاً في القُدَّاس الإلهي. وكان الدَّافع له هو السُّرعة في الانتهاء من الصَّلوات ليس إلا. وقد سبق أن عرفنا أن قُدَّاسات الصَّوم المقدَّس الكبير ظلت تُقام في سبوت وآحاد الصَّوم فقط، قبل أن تدخل القُدَّاسات في أيام الصَّوم، وعلى مراحل متعدِّدة، وببطء شديد.

إن لحن الصَّوم المقدَّس الكبير كما نصليه اليوم في السُّبوت والآحاد هو لحن خشوعي، يبعث في النَّفس سكينه وسلاماً، ولكنّه ليس لحن حزين أو جنائزي.

جاءت هذه النِّغمة المختصرة التي تُقال في قُدَّاسات أيام الصَّوم الكبير، نغمة مبتورة، فاقدة لأصول الموسيقى القبطيَّة البديعة، فدعوها بالحزينة أو الجنائزيَّة. وكم كان فرحي عظيماً حين تبيَّنت من هذه الحقيقة بعد سنين طويلة أُخرى، إذ وجدتُ أن "مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة (طقس ١١٧) لسنة ١٩١٠م"، يدعوها: باسم: "لحن الأحد ملخَّص".

إذا فهذه النِّغمة التي نسمعها في قُدَّاسات أيام الصَّوم هي ملخَّص أو اختصار نغمة الصَّوم الكبير في السُّبوت والآحاد. أي أن نغمة الصَّوم الكبير في السُّبوت والآحاد، هي النِّغمة الوحيدة الأصيلة المعروفة للصَّوم الكبير، ولا توجد نغمة غيرها. وإن كانت هذه النِّغمة الأصيلة لم تصفها المخطوطات بالحزينة أو الجنائزيَّة، فهل يكون اختصارها أو إيجاز هزَّانها باعثاً على وصفها بتلك الصِّفات؟ لا أظن.

أمّا أكبر دليل يؤكِّد أن لحن الأحد المختصر ليس أصيلاً في الصَّوم الكبير، هو ما تقوله المخطوطات عن طقس قُدَّاسات الأيام في حالة حضور رئيس الكهنة، إذ يتحول هذا اللحن المختصر إلى لحن السُّبوت والآحاد، ولاسيما في مرد الإنجيل وفي الحان التَّوزيع. حيث تقول مخطوطات ترتيب البيعة^(٢٢):

"إن كان رئيس الكهنة، الأب البطريرك أو الأسقف، يحضر القُدَّاس في يوم من أيام الصَّوم بطول الجمعة، تُقال الليوليا $\chi\epsilon\ \phi\upsilon\mu\epsilon\upsilon\iota$ (حي إفيمني). وبعد فروع صلاة الشُّكر لا تُقال $\mu\epsilon\sigma\sigma\epsilon\upsilon\tau$ (نيفسنّي) بل $\sigma\omega\iota\varsigma$ (سوتيس) سنوي إن كان ما يخدم. وإن كان يخدم القُدَّاس، تُقال بعد $\sigma\omega\iota\varsigma$ كالعادة $\mu\iota\sigma\alpha\beta\epsilon\upsilon\tau$ (نيسافيف). وعند قراءة الإنجيل يلائم بلحن الأحد. ولا تُقال $\sigma\omega\mu\alpha\tau\omicron\varsigma$ (سوماتوس)، لكن كالعادة السنويَّة $\Delta\eta\lambda\omicron\iota\ \epsilon\beta\omicron\lambda$ (أنتشي إيفول). ويعطى الشَّعب التَّسريح، وتُقرأ البركة، وهكذا ترتيب أيام صوم الأربعين المقدَّسة إلى آخر يوم الجمعة".

قانون ختام صلوات القُدَّاس الإلهي على مدارس السنة الليتورجيَّة

أمّا القانون المذكور في ختام القُدَّاس، فهو قانون ختام صلوات القُدَّاس الإلهي في الطَّقس السنوي، على مدار السنة الليتورجيَّة كلها،

٢١- ظلَّ الشُّرْفِيُّون يفضلون عدم الصَّوم يوم السبت، تذكراً لراحة الله، ومن ثمَّ فإنه يمكن إقامة القُدَّاس فيه. أمّا في الغرب فقد فضَّلوا الصَّوم فيه تذكراً لموت المسيح وراحته في القبر، ومن ثمَّ فلم تكن تُقام القُدَّاسات فيه.

Cf. A. Baumstark, *op. cit.*, p. 191.

٢٢- ومن أهمها مخطوط رقم (طقس ١١٧). بمكتبة البطريركيَّة (١٩١١م)، وهو نسخة من مخطوط ترتيب البيعة بدير البراموس (١٥١٤م).

بما فيها الصَّوم المقدَّس الكبير في أيامه وسبوته وآحاده.

Αλ λοζα .. Κε Ντην ..
 Αηβίεβολ ζεν πικωμα νεμ πικνοϋη τε Πχς : α
 πενηητ ψωπι λβερι .
 ω πικωτηρ : χα νεηνοβι ναν εβολ .
 Πχς Πιλοςος η τε Φιωτ : πιμονοςενης
 ηνοϋτ ...

هلليلويا المجد ... الآن ...
 أخذنا من جسد ودم المسيح، قلبنا صار
 جديداً.
 أيها المخلص، اغفر لنا خطايانا .
 أيها المسيح كلمة الأب، الإله الوحيد ...^(٢٣)

وهكذا يتضح لنا تماماً أن استخدام لحن "الحزن أو التَّجَنُّيز" في قُدَّاسات الأيام كان الدَّافع الأساسي وراءه هو السُّرعة في تكميل الصَّلوات، وليس لحناً مختصاً بأيام الصَّوم الكبير دون سبوته وآحاده، برغم أن الفارق الزمَّني بين ترديد المرذَّات بلحن السُّبوت والآحاد، وهو اللحن الأصيل للصَّوم الكبير، وبين ترديدها باللحن الذي تدعوه المخطوطات "الحزين أو الجنائزي" هو في الحقيقة فارق زمَّني ضئيل، لم يكن مبرراً على الإطلاق للخروج عن اللحن الوحيد للصَّوم المقدَّس الكبير سواء في سبوته وآحاده أو في أيامه.

وفيما يلي أوجز الحديث عن بعض العناصر الليتورجية لطقوس صلوات الصَّوم المقدَّس الكبير:

• حول بعض العناصر الليتورجية للصَّوم المقدَّس الكبير

• إِبْصَالِيَّة تُقال في رفع بخور عشية الصَّوم المقدَّس الكبير

- وهي ٢٤ رباعاً مرتبة على الحروف الهجائية القبطية. ومنها:
- تعالوا لنصوم أصواماً كاملة، لأنَّ بالصَّلَاة والصَّوم يغفر لنا الرَّب.
 - دنس قلوبنا فلنطهره بالحبَّة، بواسطة الصَّلَاة والصَّوم والأعمال اللائقة.
 - لأنَّ الرَّب علَّمنا في إنجيله، أنه بالصَّلَاة والصَّوم نطرد الشياطين.
 - مدح السيِّد الذين صاموا له بالصَّلَاة والصَّوم بفكر غير نجس.
 - تاب آباؤنا ببر وطهارة، وبالصَّلَاة والصَّوم استحقُّوا الملكوت.
 - بكى أبونا آدم وحواء لأجل الفردوس، وبالصَّلَاة والصَّوم رُدَّهما محب البشر.
 - إيلياً أغلق السَّماء ثلاث سنين وستَّة أشهر، بالصَّلَاة والصَّوم، فلم تمطر السُّحُب.
 - ردَّ الله غضبه بغتة عن أهل نينوى، بالصَّلَاة والصَّوم ترك لهم أعمالهم الشريرة.
 - حقاً يونان كان في بطن الحوت ثلاثة أيام. وبالصَّلَاة والصَّوم قذفه إلى اليابسة.
 - ها الاثنا عشر رسولاً كرزوا بالاسم المبارك. وبالصَّلَاة والصَّوم أقاموا الأموات.
 - كلُّ النَّعم العالية أدركت التُّسَّاك، بالصَّلَاة والصَّوم والتَّقوى.
 - كلُّ التُّفوس التي أرضت الرَّب الإله بالأعمال، بالصَّلَاة والصَّوم فازت بملكوت السَّموات.
 - لهذا فلنسبِّحه ونمجِّده بالصَّلَاة والصَّوم والسُّجود أمامه.

وهي إِبْصَالِيَّة حديثة عُرِفَت منذ القرن الخامس عشر الميلادي، ولا يعرفها ابن كَبَر (١٣٢٤م+) في القرن الرَّابع عشر. أمَّا ابن كَبَر فيذكر ذكصولوجية واحدة للصَّوم الكبير، وهي Πηνηστια νεμ πιϋληη وتُقال في أيام الأربعاء والجمعة

٢٣- حيث يُقال هذا الرُّبع السَّابع من ختام التِّيوطوكيات الواطس وحتى النَّهاية.

والآحاد. أمَّا الذُّكُصُولُجِيَّانِ المعروفَتانِ لنا حاليًّا، وهما Πνευματικὸν Παῶς و Πνευματικὸν ἡσυχαστικὸν، ”أسبَحْ مَراحمَكَ يَا رَبِّي إِلَى أَيْدِ الأَبَدِ، وَمِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ أَخْبِرْ بِحَقِّكَ بِفَمِي ...“ . فهما عنده إِبْصَالِيَّتَانِ واطس على الثِّيُوطُوكِيَّةِ الواطس. وإنَّ ابْنَ كَبْرٍ مَعَهُ كُلُّ الحَقِّ حِينَ يَذْكَرُ أَهْمَا إِبْصَالِيَّتَانِ وَلَيْسَ ذُكُصُولُجِيَّتَانِ، لِأَهْمَا تَحَقُّقَانِ كُلِّ حِصَانِ الإِبْصَالِيَّةِ كِمَناجاةِ وَصلاةِ لِلرَّبِّ يَسُوعَ، وَذَلِكَ عَكْسُ الذُّكُصُولُجِيَّةِ الَّتِي هِيَ تَمجِيدٌ وَتَطْوِيبٌ، وَهُوَ مَا يَنْطَبِقُ عَلَى الذُّكُصُولُجِيَّةِ الوَحِيدَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ كَبْرٍ لِلصَّوْمِ المَقْدَسِ الكَبِيرِ.

• الطُّرُوحَاتُ الواطسِ وَالآحادِ

وهي الطُّرُوحَاتُ الواطسِ الَّتِي تُقالُ قَبْلَ خَتامِ ثِيُوطُوكِيَّةِ السَّبْتِ فِي عَشِيَّةِ، أَوْ الطُّرُوحَاتِ الآحادِ الَّتِي تُقالُ فِي تَسْبِحةِ نِصْفِ اللَّيْلِ وَالسَّحَرِ لِيَوْمِ الأَحَدِ وَقَبْلَ خَتامِ ثِيُوطُوكِيَّةِ الأَحَدِ.

التَّرتِيبُ القَدِيمُ لِأَناجِيلِ الآحادِ	التَّرتِيبُ الجَدِيدُ لِأَناجِيلِ الآحادِ
جزءٌ من العظة على الجبل	جزءٌ من العظة على الجبل
التَّجربة على الجبل	التَّجربة على الجبل
الابن الشَّاطِر	مثل الكرم والكرَّامِين
المراة السَّامِرِيَّة	خراب الهيكل ونهاية العالم
شفاء المفلوج	عن أورشليم قاتلة الأنبياء
شفاء المولود أعمى	دخول السيِّد المسيح إلى أورشليم

• مُرد كَبْرِياليسون

وهو المُرد الَّذِي كانَ يَعقُبُ صلاةَ الشُّكْرِ، وَهُوَ المُردُ الأَسْبِقُ والأَقْدَمُ قَبْلَ أَنْ تَنْتَشِرَ أَرْباعُ النَّاقُوسِ فِي الكِنائِسِ بَدْءاً مِنْ القَرْنِ الخَامِسِ عَشَرَ المِئادِي. وَكافةُ الأَبْصَلْمُودِيَّاتِ السَّنَوِيَّةِ المَخْطُوطَةِ والمَحْفُوظَةِ فِي مَكْتَبَةِ دِيرِ الأَنْبَا مِقارَ، لا تُعرَفُ أَرْباعاً لِلنَّاقُوسِ. وَهَذَا يَوضِحُ لَنَا أَنَّهُ قَبْلَ القَرْنِ الخَامِسِ عَشَرَ المِئادِي، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ فَرَقٌ بَيْنَ قُدَّاسَاتِ الأَيامِ، وَقُدَّاسَاتِ السُّبُوتِ وَالآحادِ فِي هَذِهِ الجُزْئِيَّةِ مِنَ طُقُوسِ الصَّلَواتِ.

• ذُكُصُولُجِيَّاتِ الصَّوْمِ المَقْدَسِ الكَبِيرِ

وهي خَمسةُ ذُكُصُولُجِيَّاتِ، بِالإِضافةِ إِلَى قِطْعِ تُقالُ فِي تَوزِيعِ السُّبُوتِ وَالآحادِ. وَالطُّقُوسِ. وَلَقَدْ وَضَعَتِ الأَبْصَلْمُودِيَّاتُ الحَدِيثَةُ المَطْبُوعَةُ عِناوِينَ لِهَذِهِ الذُّكُصُولُجِيَّاتِ لِتَحَدِّدَ هَوِيَّتِها؛ فَالأوَّلَى تُقالُ فِي أَيامِ وَآحادِ الصَّوْمِ المَقْدَسِ. وَالثَّانِيَةُ تُقالُ فِي الأَيامِ فَقَط. وَالثَّالِثَةُ تُقالُ فِي أَيِّ وَقْتٍ يَريدُ القارِئُ. وَالرَّابِعَةُ Πνευματικὸν ἡσυχαστικὸν تُقالُ فِي التَّوزِيعِ بَعْدَ المَزمُورِ ١٥٠ فِي الأَيامِ بِلَحْنِها المَعروفِ. وَالخامِسةُ تُقالُ فِي السُّبُوتِ وَالآحادِ فَقَط. وَهُوَ ما لَمْ تَذْكَرْهُ المَخْطُوطَاتُ الكَثِيرةُ الَّتِي فَحَصْتِها. وَهُوَ نَفْسُ ما نَجَدْهُ فِي أَبْصَلْمُودِيَّةِ أَقْلاذِيوسِ بَكِ لَبِيبِ الَّتِي طُبِعَتْ سَنَةَ ١٩٠٨م، وَهِيَ أوَّلُ أَبْصَلْمُودِيَّةِ مَطْبُوعَةٍ فِي مِصرِ. فَقَدْ أُورِدَتْ عِناوِناً واحِداً لِكُلِّ هَذِهِ الذُّكُصُولُجِيَّاتِ، فَتَقولُ: ذُكُصُولُجِيَّةٌ أوَّلَى لِلصَّوْمِ الكَبِيرِ، وَأَيْضاً ذُكُصُولُجِيَّةٌ – ثَانيَةُ أَوْ ثالِثَةُ أَوْ رابِعَةُ أَوْ خامِسةُ – لِلصَّوْمِ الكَبِيرِ. فَلَمْ تَحَدِّدْ أَيَّهاً مِنْها يُقالُ فِي الأَيامِ وَأَيَّهاً يُقالُ فِي الآحادِ. أمَّا الأَمْرُ المَهْمُ هُنا، فَهُوَ أَنَّ أَبْصَلْمُودِيَّةَ المَذْكَورَةَ لَمْ تَذْكَرْ أَنَّ الذُّكُصُولُجِيَّةَ الرَّابِعَةَ السَّابِقَ ذَكَرْها تُقالُ فِي التَّوزِيعِ. وَنَحْنُ الآنَ فِي سَنَةِ ١٩٠٨م. وَسوفُ أَعودُ لِلحديثِ عَن هَذِهِ الذُّكُصُولُجِيَّةِ عِنْدَ الحَدِيثِ عَن لَحانِ التَّوزِيعِ فِي الصَّوْمِ المَقْدَسِ الكَبِيرِ.

• قِوانينِ خَتامِ الصَّلَواتِ فِي صلَواتِ رَفعِ البُخُورِ

تُعَدُّ عِصْراً لِبتُورَجِيَّاً أساسِيًّا فِي الطُّقسِ القِبْطِيِّ القَدِيمِ، وَهُوَ الطُّقسُ الَّذِي ظَلَّ يُدَوَّنُ فِي مَخْطُوطاتِنا القِبْطِيَّةِ، وَلا سِمْما

مخطوطات ترتيب البيعة، حتى إلى أوائل القرن العشرين. ومنذ أوائل هذا القرن المذكور، أُهملت هذه القوانين إهمالاً محضاً، فلم تُدوَّن نصوصها في الأبصلموديات التي طُبعت في الإسكندرية والقاهرة في سنة ١٩٠٨م، كما اعتادت مخطوطات الأبصلموديات، ومخطوطات ترتيب البيعة، أن تفعل دائماً.

كما لم تُدوَّن أيضاً نصوص هذه القوانين في كتاب ”خدمة الشَّماس والألحان“ الذي طُبِع للمرة الأولى سنة ١٥٧٥ش/ ١٨٥٩م في عهد البابا كيرلس الرابع (١٨٥٣-١٨٦١م). كما حلت من الطبعة الثالثة لهذا الكتاب، والتي تُمت في سنة ١٦١٦ش/ ١٩٠٠م وهي الطبعة الأهم له.

• مرد دورة الحَمَل في الصَّوم المقدَّس الكبير

تعرف الكنيسة ثلاثة مرَدَّات لها، لم يبق سوى واحد فقط، هو الذي تمت طباعته في الكُتُب المطبوعة، فسقط المرادان الآخران.

وهذه الثلاثة مرَدَّات هي:

- الليلوياء، اذكر ياربُ داود وكلَّ دعتة، مثلما أقسم للربِّ ونذر لإله يعقوب، إني أدخل إلى مسكن بيتي، أمام الملائكة أرثُل لك، وأسجد أمام هيكلك. هليلويا.
- الليلوياء، أمّا أنا فبكثرة رحمتك، أدخل إلى بيتك، وأسجد أمام هيكلك المقدَّس. الليلوياء^(٢٤).
- الليلوياء، أدخل إلى مذبح الله أمام الله الذي يهبج شبابي. أعترف لك يا إلهي بالقيثارة. هليلويا.

• لحن العذراء بعد تحليل الحُدَام

وهو لحن **Μεο τε ψωρη** ”أنت هي المحمرة الذهب، الحاملة جمر النار المبارك“.
ولعلَّ القارئ العزيز يندهش حين يعلم أنَّ هذا المرد هو اللحن كان يُقال على مدار السنَّة الليتورجية في أيِّ قَدَّاس. ولم يكن لحناً مختصاً بأيام الصَّوم المقدَّس الكبير فحسب. وهذا اللحن المذكور يُقال بالتناوب مع لحن **Παρωρη** (تاي شوري)^(٢٥). ويُطلعننا البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) على ذلك الأمر بكلِّ وضوح في شرحه للقَدَّاس الإلهي على مدار السنَّة الليتورجية فيقول: ”وبعد **Σωθης αμνη** (سوتيس آمين) يرتلون إمَّا لحن **Μεο τε ψωρη** (إنثو تي تيشوري) أو يقولون **Παρωρη** (تاي شوري) للعذراء إن كان تمَّ مهل. وبعدها **Περωωυτ** (تين أو أوشت)^(٢٦)“.

ونلاحظ أن المخطوطات لا تذكر سوى لحن تاي شوري، ولحن إنثو تي تي شوري. ولا تذكر لحن تي شوري. وأمَّا السَّبب في ذلك، فهو أن لحن تي شوري، كان يأتي تابعاً مباشرة للحن تاي شوري. فهما في الحقيقة لحن واحد.

- نصُّ لحن تاي شوري: ”هذه المحمرة الذهب النقي، الحاملة العنبر، التي بيدي هرون الكاهن، يرفع بخوراً على المذبح“.
- نصُّ لحن تي شوري: ”المحمرة الذهب هي العذراء، وعنبرها هو مخلصنا. ولدته وخلصنا، وغفر لنا خطايانا“.
- نصُّ لحن إنثو تي تي شوري: ”أنت هي المحمرة الذهب النقي، الحاملة جمر النار المبارك“.

• مرد الإبركسيس

وهو مرد **Ψαρε Φτ**. ”يرفع الله هناك خطايا الشَّعب من قِبَل المحرقات ورائحة البُخور“.

وهو الرُّبع الثَّامن من القطعة السَّادسة من ثيُطوكية الأحد. وهو المرد الذي كان يُقال على مدار السنَّة الليتورجية، سواء كان في الأيام أو الأحاد أو الأصوام أو في غيرها.. فهذا هو مرد الإبركسيس على مدار السنَّة الليتورجية، وفي

٢٤- وهو نفس المرد الذي يذكره مخطوط البطريركية بالإسكندرية لسنة ١٧١٦م.

٢٥- أي: ”هذه المحمرة“. أمَّا كلمات اللحن فهي: ”هذه المحمرة الذهب النقي، الحاملة العنبر، التي في يدي هرون الكاهن، يرفع بخوراً على المذبح“.

٢٦- الأبا غبريال الخامس، التَّرتيب الطَّقسي، مرجع سابق، ص ٧١

قُدَّاسَات أيام الصَّوم، كما في قُدَّاسَات آحاده على حد سواء. وفي ذلك الأمر أيضاً لا تختلف قُدَّاسَات الأيام عن قُدَّاسَات الآحاد في الصَّوم المقدَّس الكبير، بحسب الطَّقْس القبطي الأصيل.

وهنا نلاحظ أن مرد الإبركسيس بحسب التَّقْلِيد القديم لا يخرج في معانيه عن البُخور والجمرة الذهب، أي عن المسيح الذي رُفِعَ عَنَّا بِخُوراً طَيِّباً إِلَى الآب، من قِبَلِ تَجَسُّدِهِ مِنَ العذراء القُدِّيسَةِ مريم، التي هي الجمرة الحاملة لجمرة النَّار، والبُخُور الصَّاعِد منها. ذلك لأنَّ مرد الإبركسيس يُترجم ما يمارسه الكاهن في هذه اللَّحْظَةِ عِينِهَا، وهو يرفع البُخُور على المذبح قائلاً: "أقبل مِنَّا نحن أيضاً يا سيِّدنا محرِّقَةً هذا البُخُور، وأرسل لنا عوضه رحمتك ذات الغنى..."

إنَّ كَمًّا ضَخْمًا من مرَدَّات الإبركسيس، قد أُضِيفَ لكلِّ مناسبة من المناسبات الكنسيَّة المختلفة. ولكن مع الأسف، لم تلتزم في نصوصها الليتورجيَّة بالتَّقْلِيد القديم السَّابِق الإشارة إليه، وكان من بينها مرد الإبركسيس السنوي "السَّلَام لك يا مريم الحمامة الحسنة، التي ولدت لنا الله الكلمة". ويشير كتاب "خدمة الشَّمَّاس والألحان" إلى أنَّ القَمُصَّ عبد المسيح صليب البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) هو الذي أضاف مرَدَّات الإبركسيس في الطَّبْعَة الثَّالِثَة للكتاب المذكور، والتي تَمَّت سنة ١٦١٦ للشُّهداء/ ١٩٠٠ ميلاديَّة^(٢٧).

وهكذا تحتفظ لنا قُدَّاسَات أيام الصَّوم المقدَّس الكبير - في هذه الجزئيَّة من القُدَّاس الإلهي - بالطَّقْس القديم الذي كانت تجري عليه قُدَّاسَات الكنيسة على مدار السنَّة الليتورجيَّة. ويظلُّ ختام مرد الإبركسيس مطابقاً غاية التَّطابق لما يمارسه الكاهن أمام عيوننا في الكنيسة، إذ أنَّ نزول الكاهن من الهيكل إلى صحن الكنيسة، في اللَّحْظَةِ التي نقول فيها: "مبارك أنت بالحقيقة... لأنك أتيت وخلصتنا"، هو تعبير يشرح نزول المسيح من السَّمَاء إلينا على الأرض. وهو نفس ما نردِّده عند نزول الكاهن من الهيكل في سرِّ بخور البولس، إذ يرَدُّ الشَّعب: "نسجد لك أيها المسيح مع أيبك الصَّالح، والرُّوح القُدَّس، لأنَّك أتيت وخلصتنا". وهذا هو مفهوم الكنيسة حين يتلاحم دور الإكليروس فيها مع دور الشَّعب، مشاركين معاً في صلاة واحدة ملتحمة لتقدِّيس القرايين، ولكن كلِّ واحد في رتبته، كما أعطى الله لكلِّ واحد موهبة يخدم بها الآخرين. فلا كنيسة بدون شعب، ولا شعب بدون كاهن.

• مرد الإنجيل

ونصه هو: "سلام الله الذي يفوق كلَّ عقل، يحفظ قلوبكم في المسيح يسوع ربِّنا. أخطأتُ أخطأتُ ياربي يسوع اغفر لي، لأنه ليس عبد بلا خطيئة، ولا سيِّد بلا غفران". أو بما يوافق. وتذكر مخطوطات ترتيب البيعة، أنه يُرد بمرد الإنجيل "أبانا الذي في السَّمَوَات، ليتقدَّس اسمك، ليأت ملكوتك، لأنَّ لك المجد إلى الأبد".

• التَّوْزِيع

تقول مخطوطات ترتيب البيعة التي ظلَّت تدون حتى أوائل القرن العشرين: تُقال $\Delta\lambda\ \text{C}\mu\sigma\tau\ \epsilon\Phi\tau$ بلحن الصَّوم المعروفة به. وبعده $\chi\epsilon\ \text{c}\mu\mu\alpha\rho\omega\sigma\tau$ بطريقة الصَّوم.

وهنا يتَّضح لنا مجدداً أنَّ "اللِّي الصَّوم الكبير" الذي يُقال في التَّوْزِيع حالياً في قُدَّاسَات السُّبُوت والآحاد فقط، وليس في قُدَّاسَات الأيام أيضاً، هو ما تنفيه كلُّ مخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا، فهل من عودة إلى الأصول؟ وهنا يتَّضح لنا من جديد أنه لا فرق بين قُدَّاسَات الأيام في الصَّوم الكبير وقُدَّاسَات السُّبُوت والآحاد فيه. وإن كنا قد اخترنا اللحن المختصر للصَّوم الكبير لنصلي به في الأيام، فما هو الدَّاعي لاختصار نغمة المزمور المائة والخمسين مع لحن الليلويا الذي يسبقه في أثناء التَّنَاول من الأسرار المقدَّسة؟

أمَّا عن ترديد الذِّكْصُولِجيَّة الرَّابِعة من ذِّكْصُولِجيَّات الصَّوم الكبير $\Pi\mu\alpha\rho\omega\mu$ في التَّوْزِيع. فهو أمر لا يوافق لحظات التَّنَاول من الأسرار المقدَّسة. ونصُّ هذه الذِّكْصُولِجيَّة يشرح ما أعنيه، إذ تقول كلمات هذه الذِّكْصُولِجيَّة - التي

كانت أصلاً إِبصاليَّةً للصَّوم الكبير:

- يا محب البشر الصَّالح، سيِّدي يسوع. أسألك لا تطرحني على يسارك مع الجداء الخطاة!
- لا تُقل لي أيضاً إنني لا أعرفك. اذهب عني أيها المعد للنار الأبدية!
- لأنني أعلم بالحقيقة، إني خاطئ، وأعمالي الرديئة كلُّها ظاهرة أمامك.
- أقول بصوت العنَّاش صارخاً قائلاً: اللهم اغفر لي أنا الخاطئ.
- أخطأت أخطأت ياربي يسوع اغفر لي، لأنه ليس عبد بلا خطيئة، ولا سيِّد بلا غفران!
- أعطني يارب توبة، لكي أتوب قبل أن يسد الموت فمي في أبواب الجحيم!
- وأعطني أيضاً جواباً عن كلِّ ما فعلته يا يسوع، القاضي العادل هو يدينني.
- رعوفاً هو مخلصي، يترأف علي شعبه، كصالح ومحب البشر. ارحمنا كعظيم رحمتك.

فهذه المعاني السَّابق ذكرها، تصلح لتُقال في أيِّ وقت في الصَّوم الكبير، ولكن في غير وقت التناول من الأسرار المقدَّسة، لأنَّ كلماتها لا توافق أبداً هذه اللحظات المقدَّسة.

وحين ذكر ابن كبر (١٣٢٤م) هذه الإِبصاليَّة - التي جعلوها حالياً ذُكصولوجيَّة - لم يُشر أبداً إلى أنها تُقال في التوزيع. وخير ما يؤكد ذلك هو أنَّ عنوانها في كثير من الأبصلموديات: ”ذُكصولوجيَّة للصَّوم الكبير وتُقال على الأموات أيضاً“. وهو ما يذكره مثلاً كتاب خدمة الشَّماس والألحان نقلاً عن بعض الأبصلموديات. فهل ما يُقال على الأموات، يُقال أثناء التناول من الأسرار المقدَّسة؟ والتي نردد فيها: ”حُبز الحياة الذي نزل من السَّماء وهب الحياة للعالم...“.

أمَّا طقسنا الأصيل فننص عليه مخطوطاتنا، وهو ما انتقل إلى كتاب الأبصلموديَّة المطبوعة أيضاً، حيث نقرأ بعد الذُكصولوجيَّات عنواناً هو: ”قِطْع تُقال في توزيع السُّبوت والآحاد في الصَّوم المقدَّس الكبير“. وهي في الأصيل تُقال في توزيع الصَّوم المقدَّس الكبير، حينما كانت قُدَّاسات الصَّوم الكبير تقام في السُّبوت والآحاد فقط. وهي القِطْع المعروفة باسم **Θρηνησιον** وهي قطع ذات معانٍ بديعة تناسب تماماً لحظات التناول من الأسرار المقدَّسة، حيث نقول فيها: ”... الآن تناولنا من جسدك ودمك الحقيقي، تجديدًا لقلوبنا، وغفراناً لخطايانا...“.

أمَّا القطع التي تُقال في التوزيع بحسب طقسنا القبطي الأصيل، وبعد ترتيب الزمور المائة والخمسين، فهي:

- سرُّ عظيمٌ يفوق عقول البشر، هو سعي مخلصنا الذي أتى وصار ابن بشر.
- محب البشر الصَّالح الذي عال إسرائيل أربعين سنة في البرية أتى وصار ابن بشر.
- ولما أكمل التواضع بعد ثلاثين سنة من الزَّمان، اعتمد وصام أربعين يوماً وأربعين ليلة.
- وكان مع الوحوش^(٢٨) لما صام في البرية، لكي نصنع مثله في زمن وحدتنا.
- تعالوا نصرخ نحوه ونبكي أمامه صارخين قائلين كما علَّمنا:
- أبانا الذي في السَّموات، ليتقدَّس اسمك في كلِّ جيل وجيل وإلى أبد الأبد.
- الجسدُ والدمُ اللذان لك هما لمغفرة الخطايا، مع العهد الجديد الذي أعطيته لتلاميذك.
- فنحن أخذنا منهم هذا المثال الذي أعطيته لهم، لكي نصنعه في كلِّ حين إلى مجيئك الثاني.
- الآن تناولنا من جسدك ودمك الحقيقيين، تجديدًا لقلوبنا وغفراناً لخطايانا.
- اطرده الشياطين عنَّا لنكمِّل بسلام، لأنه ليس لنا سواك في ضيقاتنا وشدائدنا.
- لأننا نحن شعبك وغنم قطيعك. تجاوز عن آثامنا كصالح ومحب البشر.
- واجعلنا مستحقين نعمتك أيها المخلص في هذه الأيام، ونحن بلا خطيئة مع صوم نقي.
- ولنحب بعضنا بعضاً ونصنع التواضع لأننا بالحُبَّة نكمِّل الوصايا.
- التَّاموس والأنبياء هما الحُبَّة التي بغير رياء، لأننا من قِبَل الحُبَّة ننال المغفرة.
- اجعل أبواب الكنائس مفتوحة لنا وكمِّلنا في الإيمان المستقيم، لكي ننال الوعد الصادق من فيك.

٢٨- يا للوحوش الرابضة في أعماقنا. فبالحق لهي أشرس من وحوش البرية التي صام بينها ربُّنا يسوع المسيح.

- القائل: تعالوا إلى يا مباركي أبي، رثوا الحياة الدَّائمة إلى الأبد.
ويقال ما يلائم من المدائح إلى انتهاء التَّوزيع.

• قانون ختام الصَّلوات في القُدَّاس الإلهي

ختام الصَّلوات في قُدَّاسات السُّبوت الآحاد، هو نفسه ختامها في قُدَّاسات أيام الصَّوم الكبير، أي يُقال:
”المجد للآب ... الآن ... هذا هو جسدُ ودُمُ الإله الوحيد، هذان اللِّذان تناولنا منهما، فلنشكره، ولنسبِّح مع الملائكة
وطغمت العلاء وصفوف الأبرار صارخين قائلين: يا من صام عَنَّا، أربعين يوماً وأربعين ليلة، اقبل إليك الصَّوم، واغفر لي آثامي
بطلبات وشفاعات سيِّدتي القديسة مريم.

خَلِّصنا وارحمنا. ياربُّ ارحم، ياربُّ ارحم، ياربُّ بارك. آمين. باركوني، أسأل اغفروا لي. قُل البرَّكة“.

أمَّا السَّبب في ذلك، فهو أنَّ قانون ختام الصَّلوات في قُدَّاسات آحاد الصَّوم الكبير كان حتى عهد قريب يجري بالطَّقس
السَّنوي، كما تذكر كافة مخطوطات ترتيب البيعة قيد الدِّراسة. أي يُقال فيه الختام السَّنوي لأي قُدَّاس على مدار السَّننة
اللِّيُتورجِيَّة، **... Αλ λογα ανβιεβολ ζεν πιωμα...** . أمَّا اليوم فبعد أن صار ختام قُدَّاسات آحاد الصَّوم بالطَّقس
الصِّيامي، فإنَّ الختام السَّابِق ذكره هو الذي يُقال، وليس أيُّ ختامٍ غيره، بدعوى أنَّ التَّعليمات الطَّقسيَّة جعلته مختصاً بأيام
الصَّوم الكبير دون سبوته وآحاده. لأننا لم نلتزم بنفس هذه التَّعليمات الطَّقسيَّة التي جعلت ختام صلوات قُدَّاسات الآحاد
بالطَّقس السَّنوي. فضلاً عن أنَّ الطَّقس القديم كان يجوي ختاماً للصَّلوات لكلِّ يوم من أيام الصَّوم الكبير، على حدة، كما
سبق أن رأينا.